

شيء جديد

•

انا من السيد الصدر بمنزلة ابنه ولا ازيد .
وذلك ما يوقفني في عرف مجتمعا المقمط بسلاسل متصلة من
العبوديات الاجتماعية عن الاندفاع به ... بالسيد الصدر في
ميادينه الشاسع العراض .
أما القباط الذي يشد انامي فهو ان لي به رحماً ماسة وواشجة
قريبة غي اعراقها أب كريم في سلسلة نسب قصيرة .
ولكني وأنا أدعو إلى التحرر من العبوديات كلها سأكسر هذا
القيد الصديء العتيق من قيودنا الاجتماعية الصدئة العتيقة .
سأكسر هذا القيد باداة جديدة فاكتب عنه حين أكتب
بذهنية السكاتب المتجرد لا بعاطفة الابن يتحدث عن ابيه
بشعور البنوة .

وأني حاجة تدعو إلى اقحام العاطفة فيما يقرأ الناس مني عن سماحة الصدر ولسماحته شخصية (الناصر) وجهاده ؟ وهي شخصية تجعل القريب بالرحم غير قريب ، والبعيد غير بعيد لأنها تتصل بهما جميعاً اتصالاً متساوياً بهذا اللحاظ وعلى هذا القياس .

هتفت الجماهير بحياة (وزارة الثورة) بعد يومين طويلين طافت خلالها الوزارة طوافاً عسيراً فلم تجد غير الصدر (بطل الثورة) مؤيلاً تلجأ إليه ثقة الجماهير وتطمئن لديه وثبة الشعب . وتلك عظمة الشعب ذاته التي أمدت سماحة الصدر بزعامة عظيمة .

تلك عظمة الشعب لأنها آية من آيات وعيه وافتحة من لفتات يقظته الوطنية الباعثة . ولم يكن نداؤه بحياة (وزارة الثورة) نداء مرتجلاً بل كان صدى انبعث من اجواء بغداد سنة العشرين وسماها المحتفظة باسم الصدر ، ورفاق ثورته الميمونة التي جعلت العراق من يومئذ فارس العربية في طماح الاستقلال وآمال السيادة . انني لاستعرض مبادئ البطولات الحمراء تلك التي جند الوطن فيها كتابه الباسلة للثورة بالاستعمار . ثم أقابل بينها وبين ما حدث من نتائج ذلك فلا أجد توازناً بين التضحيات وبين حكمنا الوطني الذي سمي (استقلالاً) لان هذا الاستقلال المسمى كان مغلوباً على امره في اختيار حكوماته .

ثم انظر في ظروف هذه الوزارة فاري الاسبوع الاخير من كانون الثاني لحص ثورة العشرين بايام معدودات واستثمر جهده ذاك اليوم ، فقطف هذه الثمرة بتشكيل هذه الوزارة الوطنية المنبثقة

من ارادة الشعب في لحظة قافزة .
وينتج من ذلك ان يومنا هذا هو أول يوم في تاريخ العرب
الحديث وإلى ذلك يشير هتاف الجماهير « تعيش وزارة الثورة » .

*

شيء جديد

وهل شيء أجده من فوز (الشعب) وهو الملمع منذ ان قد
الاستعمار أن يضع في فمه هذه الشكاكم الشائكة التي كانت تـأ
بشكل حكومات ... ووزارات ؟
لا أغالي - والله - فقد كانت الصلة بين الشعب وبين حكومات
فيما مضى هي الصلة بين الجواد الاصيل وبين الشكيمة الشائكة دور
فرق باسقاط ما للشكيمة من بعض المنافع أحياناً .
ولطالما أهينا بالقوم - في لين - مرة ، وفي قسوة مرات ، أن
يعترفوا بالشعب ويخرجوا من أبراجهم إلى الواقع . وأردنا لهم أدر
يحسوا بآلام الامة ويفرحوا في أعيادها ، ويتضامنوا معها في موكبهم
الساثر . فيكون ذلك كله أعون لها ولهم على تحقيق رغبات الجميع
وبلوغ الغاية من اسعاد هذه البلاد . غير أن الذهنية القديمة كانت
تسيطر على سياستهم وتدعوهم الى الكبرياء عن سماع الحق ، وكان
الذي يرضيهم أن يتمسكوا بالعناد مسقطين من حسابهم العبر التي
نسردوها لهم من تاريخنا القديم والحديث حتى كان ماتوقعناه ، وحدث
ما لم يكن بد من حدوثه نتيجة لاحتكار الأقلية واحتكامها بمقدرات
البلاد دون الكثرة الكثيرة ، وهي العمدة في تقرير مصير البلاد في

اللحظات الفاصلة .

ان الحكومات الماضية كانت تصاغ على أساس حماية المصالح الاجنبية بعيداً عن ارادة الامة . وانا محتاجون في دفع هذه الغائلة إلى أن تؤلف حكوماتنا بارادة الامة ولحماية مصالح البلاد .. نحن محتاجون الى ذلك دون انقلاب الا الانقلاب الذي معناه (البعث) .

هذا ما قلته قبل أن يحدث الانقلاب الذي معناه البعث . فلما حدث كان هو (الشيء الجديد) الذي سيظل جديداً في حياتنا . هما تقدم به العهد لانه سيظل عنواناً لبداية حاسمة في انقلاب لم يلبأ الى عنف ولا الى مخالفة دستورية ولا الى ثورة خطيرة على نظام الحكم ولا الى شيء من تلك الجيوش التي لجأ اليها العراق في السنوات الاخيرة نتيجة للاستبداد والاحتكار اللذين أدبا الى تلك الجراح الباقية آثارها في قروح تنقضا وتسيل دماءها الذكريات .

انه لشيء جديد حقاً أن يحدث الانقلاب في مثل هذا الوعي القومي المنظم فتنزل عن الحكم وزارة قال لها الشعب : أنزلي .. وترقى إلى الحكم أخرى قال لها الشعب ايضاً : اصعدي .. ثم يحدث ذلك كله في أيام قليلة تقضي ديون العراق من التأخر ، وتتسع في تاريخ العراق حتى تعبر اجيالاً طوالا دون عنف ولا مخالفة ولا ثورة خطيرة .

هذا شيء جديد ارتفع بالعراق إلى القمة وجعل شعبه في الذروة من يقظة الشعوب المنظمة الواعي في هذه الآونة .

وسبكون هذا (الجديد) من ناحية الشعب قاعـدة لوضع
أسس الاستقرار في غدنا السافر الوضاء ، فليكن - من ناحية
الحكام - قاعدة لفهم (الطبقة) الحاكمة من الان فصاعداً وستكون
بعد هذا المدرس كذلك بحكم يقظة الرأي العام هذه اليقظة الشاملة .

جريدة التيمس تهدد العراق

وردت برفية من لندن تلخص تعليق (التيمس) اللندنية على
العلاقات بين العراق وبريطانيا بعد تأليف حكومة الصدر في مقال
افتتاحي غمسته بحبر السياسة البريطانية العتيقة دون أن تتأثر بشيء
بما يجري الان في العالم من تيارات الانعتاق والتحرر والانطلاق
والسمو في ذلك كله عن (افانية) التاجر المساوم على (الحرية)
مساومته على السلع والاعراض من المطالب التي يستيقظ فيها
الشعور بالذات وحده مجرداً عما للغير من حقوق .

وجاء في هذا التعليق قولها : « كان الغرض من الاتفاق الجديد
الذي سمى اليه العراق لا بريطانيا القضاء على جميع الاعتراضات
التي اثارها الوطنية ضد معاهدة ١٩٣٠ ، وليست المصالح البريطانية
هي التي ستعاني من فسخ معاهدة (بورتسموث) وانما هي المصالح
العراقية . وليس من شك في ان اولئك الذين تولوا السلطة في بغداد
بحاجة الى الوقت للتفكير في عواقب الحوادث الاخيرة . ومن الحكمة
ان نرجو ان لا يعتمد الوزراء المسؤولون الى التفكير فقط في
وجوب تحسين حظ الشعب العراقي ، بل يجب ان يضعوا تسوية مرضية
مع بريطانيا على مصالح العراق » .

هذا نص الخلاصة، وما أدري لعمر الحق اتصدر هذه الجريدة في
(غابة) ام تصدر في عاصمة كاندن تدعي انها تهز مهد الحضارات ...
ابن الحضارة من هذا المملوك الرخيص الذي لم يتنفس عليه
العلم بنور، ولم يهش له الادب بشعر، ولم تنضح عليه الانسانية بندي،
بل انكشف على حقيقته فجاء (مهمة) و (عواء) و (زئيراً) .
وابن الحضارة من حرير القلم الذي أملى هذا التعليق تحت
سحابات الضباب وطبقات الدخان ، راجعاً القهقري الى عهده البعيد
البعيد .. السحيق السحيق يوم كان (الزئير) وحده هو السلاح
في حيازة المصالح ..؟

حسبك ابتها الزميلة - ولا فخر - فقد تهرأت السياسة تلك
يوم كانت تكفي قصاصة منك كهذه تذيع لهجة كهذه ان تفعل
الافاعيل ، فما نحن في عصر يخدع بهذا (السحر القديم) او يهضمه ...
ومن الحسن ان تعلمي بان خوضك في هذا الموضوع على هذا
النحو أمر خارج عن حدود الصحافة الانكليزية التي تريد ان تكون
وسيلة للتفاهم بين الشعبين العراقي والانكليزي ، لانه خوض في شر
مثير من جهة ، ولانه تدخل يفسد الطمأنينة والامن والحرية في بلد
يسعى الى هذه الاماني دون أن يزاحم احداً عليها او يمنع شعباً منها .
وقد كنت أميل الى الاكتفاء بهذا القدر من التعليق على هذا
الفضول لولا اني افضل دائماً التركيز الذي تتجاوزه « التيمس » فيما
يتصل بشؤوننا العربية من موضوعاتها ، لذلك سألخص الامور التي
دار عليها التعليق وأفتي فيها باختصار .

١ - ادعت التيمس ان التخلص من معاهدة سنة الثلاثين كان

السبب في سعي العراق الى تعديلها .

والصحيح ان انكلترا أرادت تجديد معاهدة ألغيت بحكم وثائق فرنسيسكو والضمانات الدولية بعد الحرب لتصون مصالحها الخاصة من جديد وبصيغة استعمارية قال العراق فيها كلمته .

٢ - أرادت التيمس ان توهم بان مصالح العراق ستتأثر بفسخ معاهدة بورتسموث دون مصالح بريطانيا .

والجواب على هذا ان هذه المعاهدة قاصرة على مصالح بريطانيا وليس فيها من مصالح العراق الا التي يغني الله فيها عن بريطانيا .

٣ - هددت حكومة الشعب بوخامة عاقبة الحركة المباركة .

وقد أجبنا على ذلك في مناقشتنا خطاب المستر بيفن . ولتعلم (التيمس) التي يبدو انها تود علينا بهذا التعليق أن سياسة الرق قد فاتها القطار ، وان العاقبة مأمونة في مثل هذه اليقظة العربية الشاملة . ومن الادب الذي لا تعرفه التيمس ان نلفتها الى واجبهافي مخاطبة الحكومات الشعبية التي تسمو عن مثل هذا الاسلوب .

٤ - عرضت إلى التفكير بمصالح بريطانيا وطلبت الى الحكومة أن تعنى بها كما تعنى بمصالح العراق .

وما أدري من جعل للانكليزي أن يتدلل بمثل هذه السجاجة ؟ ولئن سلمنا هذا العبء المفروض على العالم الشقي فماذا تعني ؟ امصالحها في بلادها ؟ ومن عارضها في ذلك ؟ أم مصالحها في بلادنا ؟ وماذا أعدت لذلك من رصيد يوازنه في مصالحنا ؟

إننا نريد التبادل ولكن على أساس (الند للند) كما نفهم نحن هذا الأساس ، لا كما نفهمه هي بأسلوبها الساخر المغفل .